

## المقطع الثاني : فلسفة ابن خلدون في العلوم:

نقدم للطلبة في هذا الدرس فلسفة ابن خلدون في العلوم وإلى كيفية تصنيفه للعقل البشري ونقسميه للعلوم (النقلية والعقلية) وكذا أهمّ قواعد المنهج الني وضعها في علم العمران وما يعرف حالياً بعلم الاجتماع

### الهدف من الدرس :

- التعرف على فلسفة ابن خلدون في العلوم
- التطرق الى كيفية تصنيف ابن خلدون للعقل البشري
- تقسيم ابن خلدون للعلوم (العقلية والنقلية)
- الاطلاع على قواعد المنهج عند ابن خلدون

### عناصر الدرس :

- 3-فلسفة ابن خلدون في العلوم
- 1-3 تصنيف ابن خلدون للعقل البشري
- 3- 2 تقسيم ابن خلدون للعلوم
- 4- قواعد المنهج في علم الاجتماع الخلدوني

### 1- فلسفة ابن خلدون في العلوم : قدّم ابن خلدون بذكائه الخارق وعنايته الفائقة وعقليته

الشديدة الغرابة وخبرته الثرية وفكره الفذ لنا فلسفة مميزة في العلوم.

كان يرى ابن خلدون في العلم ظاهرة اجتماعية يدرسها كما درس كل الظواهر الاجتماعية الأخرى ويرى العلم ثمرة " لاختلاج الفكر " ومع أنّ الفكر في الأصل هبة من الخالق للإنسان تميّزا له من الحيوان، فإنه لا يتسع ولا يتفتح إلى أقصى حدوده إلا في المجتمع لأن العامل الجوهرى في اتساعه هو التمرين ومن الواجب كما هو الشأن في كل ملكة أن يتمرن الفكر مرات عدة في موضوعات عدة وفي المجتمع يجد الفكر ميدانا للتمرن ولا ينضج تماما إلا في حياة الحضر حيث تصل الحضارة إلى أعظم درجات التعقد.

### 3-1 تصنيف ابن خلدون للعقل البشري:

يقول ابن خلدون أن للإنسان ثلاثة أنواع من العقول (الفهم):

3-1-1 العقل التمييزي : الذي يميز به مسائل خاصة وهي المرحلة الأولى في العقل البشري ويكون العقل قبلها خالي من أي علم بالجملة.

3-1-2 العقل التجريبي : الذي يطبق على الطرق العادية للحياة كالعادات التي تتعلق بالأفراد ومعاملاتهم بعضهم البعض حيث يقول في هذا الشأن (ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسرّ له منها مقتنعا له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه، حتى يتعين له ما يجب وينبغي فعلا وتركيا) ويكون هذا إمّا بالتعلم والاكْتساب المباشر وهذا يتطلب جهدا ووقتا وإمّا يلجأ المرء عادة إلى التعلم والتقليد من أبناء جنسه فيختم الزمن والجهد ويصل إلى تحصيل بعضها بالتعلم وهكذا يكون الإنسان جاهلا بالذات وعالما بالكسب.

3-1-3 العقل النظري : وهو ما يحصل به تصور الموجودات غيايبا وشاهدا كما هي عليه في الحقيقة وهو الذي يؤلف العلائق بين الأفكار العامة ومن هذه العلائق يستخرج الأفكار

التي تؤلف العلوم المختلفة ولا يوجد هنا النوع إلا في حياة الحضر لأنه من بعض الوجوه نتيجة لبعض الظواهر التي تحدث فيها، فالاضطرار للعمل وتعدّد الحضارة والفراغ الذي يجده بعض سكان الحضر في التأمل والتفكير كلها ظواهر تدفع هذه الملكة من " القوة إلى الفعل " وهنا السر في انعدام أي علم ناضج في قبيلة بدوية محضّة.

### **2-3 تقسيم ابن خلدون للعلوم :**

يعود ابن خلدون للإشارة إلى ميزة الفكر لدى الإنسان فالإنسان مفكر دائماً وأبداً وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصناعات نتيجة فطرة طبيعية في الإنسان (لتحصيل ما ليس عنده من الإدراكات) وهكذا صنف ابن خلدون العلوم التي تداولها البشر في الأمصار في عصره إلى صنفين :

3-2-1 العلوم الدينية (النقلية) : التي ترمي إلى شرح العقيدة ووضع نظام الفرائض ويرى أنه لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها في الأصول. كما يرى أنها بلغت درجة لا يمكن الزيادة عليها فاصطلاحاتها قد هدّبت، وفنونها قد رتبت ويقسم ابن خلدون هذا الصنف إلى فروع والفروع يمكن تقسيمها إلى فروع :

أ-الشرعيات من الكتاب والسنة.

ب-العلوم اللسانية (سابقة على الشرعيات)

3-2-2 العلوم الفلسفية الطبيعية : التي هي ثمرة الفكر البشري وتأملاته في الطبيعة وما بعد الطبيعة، ويستلزم التحقق منها والمباشرة بها قبل التيقن منها والحكم عليها والرسم التوضيحي يفصل ويلخص بإجازة.

هذان النوعان من العلمين ضروريان لكل أمة فلا تستطيع أي أمة أن تستغني عن الدين ولا عن قدر من الفلسفة الإنسانية المحضة والعلوم الدينية والفلسفية في حاجة إلى علوم إضافية كالنحو واللغة والآداب الأولى والمنطق الثانية.

استند ابن خلدون إلى المبادئ الفلسفية في بدء " المقدمة " ولا سيما بعد الطبيعة لإثبات معظم نظرياته لكنه في آخرها يطعن في الفلسفة بأسرها طعنا نهائيا ويرى بأن لا فائدة منها ويقول عنها عبث وأن الدين يسدّ كل حاجاتنا ويكفل لنا السعادة.

#### 4- قواعد المنهج في علم الاجتماع الخلدوني<sup>1</sup>

لقد وضع لهذا العلم قواعد منهج أصيلة وهو يقول عن علمه الجديد: " واخترعته من بين المناهج مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا ".  
من بين هذه القواعد:

#### 1-4 الشك والتمحيص

ابن خلدون لم يكن شكلي فحسب بل باحثا مدققا فابن خلدون يكشف عن السبب في حدوث أي ظاهرة حيث لا يكتفي بالإشارة إليها أو القناعة بمجرد وصفها بل يجب التحقق منها على شكل :

➤ تحقيق سكاني؛

➤ تحقيق عسكري؛

➤ تحقيق جغرافي؛

➤ تحقيق أسري؛

<sup>1</sup> حسن الساعاتي، علم الاجتماع الخلدوني قواعد المنهج، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 2006

ولقد تطرق الى كيفية نقل الأخبار في زمانه ولخص أسباب الكذب في الأخبار التي لا بد لها من تمحيص فيما يلي:

- ✓ التشيعات للآراء والمذاهب؛
- ✓ التقرب من أصحاب المراتب؛
- ✓ الثقة بالناقلين؛
- ✓ عدم معرفة القصد من النقل؛
- ✓ عدم محاسبة النفس على الخطأ؛
- ✓ القياس والمحاكاة؛
- ✓ الجهل بطبائع الأحوال في العمران.

وهذه الطريقة تشبه طريقة الشك المنهجي عند "ديكارت".

#### 2-4 التشخيص المادي

اعتمد ابن خلدون في استقراء معظم أفكاره من الواقع الاجتماعي المحسوس، أو الواقع الاجتماعي المادي، فهو يميز بين طبيعة الممكن والممتنع، فما يدخل في الإمكان يقبله ويرفض غيره، وفكرة التشخيص المادي لظواهر الاجتماع الإنساني والعمران البشري لا ترتبط بفكرة الوضعية عند "كونت" بل إنها ترتبط بفكرة الموضوعية عند "دوركايم".

والسؤال : كيف يستطيع الإنسان دراسة الظواهر الاجتماعية ؟ فابن خلدون كان متعلما اجتماعيا فهو يتحدث عن أشياء اجتماعية محسوسة.

وأكد ابن خلدون من جهة أخرى على بطلان الفلسفة لذلك انصرف عن العلوم الفلسفية ووجه اهتمامه إلى العلوم التي لا تتجرد حقائقها عن المادة.

فابن خلدون كذلك يتناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل والتفسير دون أن يكون متأثرا بآراء مسبقة عنها ودون أن يكون ملتزما بخط فكري واحد، كما أن ابن خلدون يقرّ بعجز الفكر عن الإحاطة بكل شيء.

أكد ابن خلدون في الخصائص أن الصنائع بعيدة عن البربر لأنهم أعرق في البدو وأن أهل الحضرة أقرب إلى الشر من أهل البدو.

يؤكد ابن خلدون كذلك أن البادية أصل العمران وهي أقدم من الحضرة كما يحلل ابن خلدون انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة تحليلاً اجتماعياً نفسياً واقتصادياً.

#### 3-2-4 تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران

حسب ابن خلدون من أبرز طبائع العمران الحياة البدوية والحياة الحضرية وأن البادية أصل العمران ويؤكد أن الرئاسة لا تكون إلا بالغالب والطلب يكون بالعصبية، والمغلوب مولع بالافتداء بالغالب.

من خصائص العمران البشري:

• وجود سياسة لتنظيم البشر؛

• اشتغال العمران على نظام الطبقات.

طبّق ابن خلدون ما يعرف بتحكيم أصول العادة حيث وجّه عناية خاصة إلى العادة وتكونها وآثارها في الإنسان، فالبيئة كما قال ابن خلدون تفعل بالإنسان ما لا تفعله الوراثة والصفات الخلقية التي يولد بها وهنا يفسر السبب أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضرة، فأهل الحضرة اعتادوا على الراحة والطمأنينة والعكس بالنسبة لأهل البدو.

ويحاول ابن خلدون تفسير التغيير الاجتماعي تفسيراً اجتماعياً مرجعاً إياه إلى أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه.

#### 4-2-4 القياس بالشاهد وبالغائب

يبين ابن خلدون أهمية قياس التمثيل للوصول إلى برهان قاطع ورواية صحيحة ولعلّ أوضح مناظرة برهانية في المقدمة اعتمد فيها ابن خلدون على قياس الغائب على الشاهد

تلك التي أوردتها في سياق شرحه قانونه الخاص بآثار الدولة وأنها على نسبة قوتها في أصلها.

فقد مزج ابن خلدون بين الاستدلال الحسي المبني على المشاهد والاستدلال المنطقي للإقناع عن طريق الدليل العقلي والاستدلال الطبيعي للتعليل بحقائق علم الحياة. أما القياس بالغائب أو بالذاهب فهو ذلك القياس المعروف بالقياس الأصولي ويستعملها ابن خلدون عند تمحيص الروايات والأخبار عن أحوال الناس الاجتماعية. وعليه فإن ابن خلدون يقرّ أن الفكر سابق على الفعل، فالفكر طبيعة فطر عليها الإنسان فأصبح يميز به عن الحيوان، وصار الإنسان يعرف بأنه حيوان مفكر.

#### 4-2-5 السبر والتقسيم

يمكن القول أن السبر والتقسيم عمليتان أساسيتان للبرهان عند ابن خلدون، فهو يرى أن الغطس قوة مدركة وأن قوى الإدراك مرتبة ومرتبقة إلى القوة. قسم ابن خلدون الفكر إلى 3 مراتب:

- الأولى تعقل الأمور المرتبة في الخارج ترتيباً طبيعياً أو وضعياً؛
- الثانية تستنتج بالتجربة للآراء والآداب في تعامل الفرد مع أبناء جنسه؛
- الثالثة العلم والظن بما هو حسي.

ينصح ابن خلدون بتهيئة الذهن لعملية الغوص وهي عملية يلجأ إليها لاستقراء نظريات. وعليه وفق ترتيب العمليات الفكرية التي تجري في الذهن والتي تشتمل عليها عملية الاستبطان الاجتماعي الكبرى، تأتي من بعد العمليات العقلية. اعتمد ابن خلدون اعتماداً كبيراً على السبر والتقسيم فالسبر هو النظر والتقصي ونعطي مثالاً على ذلك اعتمد ابن خلدون على القاعدة الفقهية السبر والتقسيم لتفسير الخلاف الذي أدى إلى القتال بين علي ومعاوية ابن أبي سفيان، فالسبر استطاع أن يحصر الخلاف الطمع في تقلد منصب الخليفة.

#### 4-2-6 التعميم الحذر

يظهر ذلك في بعض عناوين فصول المقدمة مثلا إذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية وبذلك فهو لا يعطي حكم نهائي صالح لكل زمان ومكان. إضافة إلى أن ابن خلدون يستعمل كذلك إضافة إلى العناوين اصطلاحات حذرة، مثلا في الأكثر، ربما، قد، في النادر.

لقد اعتمد ابن خلدون في تعميم استقراراته عن الحوادث الاجتماعية على مبدئين استنتجتهما من تأمل الواقع والأحوال هما مبدأ السببية والحتمية مثل تفسير الحاجة عند البشر إلى الحاكم وبذلك أعطى له بعد حتمي لكن بشرط توفر السبب وهنا يتمثل في الاجتماع البشري. ويبرهن كذلك على حتمية وجود الرائد الديني، والملاحظ أن ابن خلدون يستعمل الاصطلاح الحتمي "لابد" عند تفسير الظواهر الاجتماعية المتعلقة بما هو طبيعي بشري.

#### 4-2-7 التحليل والتقييم الشخصي

تعتبر المقدمة جزء من كتاب ضخيم لابن خلدون الذي أسس من خلالها علم الاجتماع بفروعه وأصنافه وأنواع من علم الاجتماع السياسي إلى غاية علم الاجتماع الاقتصادي والصناعي.

واتبع في ذلك طرق منهجية واصطلاحية حاول الكاتب استخلاصها وعليه نستنتج النقاط التالية:

✓ اكتسب ابن خلدون من خلال رحلاته العديد من التجارب الناتجة عن

الاحتكاك جعلته يتوصل إلى مجموعة من النتائج التي تشتمل على نفسية

الشعوب والأفراد في البدو والحضر؛

✓ في بعض المواقف استعمل عبارات حتمية بمجرد توفر السبب المناسب وفي

بعض الأحيان استعمل كثيرا مصطلح "قد" في المواقف التي قد لا تؤدي إلى

نتيجة واحدة بمعنى أنها تحتمل أكثر من نتيجة؛

✓ استعمل ابن خلدون في كتابة المقدمة مناهج خاصة وعملية أكثر منها علمية  
فهي قائمة على أساس التجربة والحقائق الميدانية وليس على القوانين  
الأكاديمية.